علامات الحج المبرور

من دروس حملة الحج لعام ١٤٣٩

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزّوجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قد بَلَغْنَا يومنا الأخير للمُتعجّلين في هذا الحجّ لعام ١٤٣٩ من الهجرة النّبويّة الشّريفة وما أسرع الأيّام الّتي انقضت علينا في هذا المكان العظيم؛ وهكذا الحياة عمومًا ما أسرعها وما أقلّ لياليها وأيّامها لو قُرنت بما سيكون بعد ذلك!

وهذا من أحد مصالح الحجّ أن يفكّر العبد في حياته فيرى سرعة انقضاء الأيّام واللّيالي فيجعل أيّامه ولياليه ذُخْرًا له، ينتفع بهذا الذُّخر حين يلقى ربّه.

ولذا فإنّ يوم القيامة يُسأل أهل الكفر: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١] فكلّ حياة الإنسان قليلة ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [٢] كيف تتصوّرون وتحسبون هذا الحُسبان؟!

كيف يخلق الله هذا الإنسان الّذي خلقه الله في هذه الحالة من العقل والفهم والإدراك، كيف يخلقه الله عبثًا؟! كيف يموت الظّالم

(١) المؤمنون: ١١٢_١١٤.

(٢) المؤمنون: ١١٥.

ظالمًا والمظلوم مظلومًا ولا يكون بعد ذلك حساب ولا عقاب؟! كيف كلّ شيء في الدّنيا في مكانه؟! كلّ شيء بقدر؟!

والنّاس لن تكون هذه حالتهم وإنّما لابدّ أن يأتي يوم وكلّ إنسان يكون في مكانه؛ ولذلك يقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[١] تعالى الله أن يخلق الخلق ويخلق لهم كلّ شيء ثمّ يكون الشّأن مجرّد أن يعيشوا في الدّنيا ويذهبوا! ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[٢].

علامات قبول الحجّ المبرور:

١_ زيادة إيمان الحاجّ واعتنائه بشأن الآخرة:

أ_ أن يزيد إيمان الحُجّاج بأنّهم ما خُلقوا للدّنيا و إنّما خُلقوا لأجل أن يُختبروا فينجحوا فيكون مآلهم إلى جنّات النّعيم:

ولذَا لابدّ أن نُجيب على سؤالٍ مهمّ وهو: بعد أن مضت الأيّام سريعًا في الحجّ الّذي هو: **"نموذج للحياة"** وبعد أن رجمنا بالحجارة ورأينا كيف أنّ هذه الدّنيا لا تساوي أيّة حجرة؟! وكلّ مُتعها سريعة، سريعة! ماذا أفعل بعد أن أعود؟ ما هي علامة الحجّ المبرور؟ نقول أخصر ما يُمكن أن يُقال من أجل أن يُحفظ ويُفهم:

---

(١) المؤمنون: ١١٥_١١٦.

(٢) المؤمنون: ١١٦.

سنبدأ أوّلا وأهمّ شيء، وأهمّ علامة من علامات الحجّ المبرور هو:

أن يزيد إيمان الحُجّاج بأنّهم ما خُلقوا للدّنيا وإنّما خُلقوا لأجل أن يُختبروا فينجحوا فيكون مآلهم إلى جنّات النّعيم، يزيد إيمانهم أن يعيشوا الدّنيا للآخرة، فنتذكّر دائمًا حديث النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- : «لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ» [1].

فإذًا هذه أوّل وأهمّ علامة: أن يتوجّه الاهتمام للآخرة.

٢_ معرفة الحاجّ حقيقة الدّنيا ووظيفته فيها والمطلوب منه:

لا تزهد في الدّنيا و إنّما افهمها جيّدًا و انتفع منها بأن تجعلها مزرعة للآخرة:

وحين نقول هذا الأمر لا تظنّ بأنّ المقصود أن تزهد في الدّنيا وتتركها وراءك! لا! وإنّما افهم جيّدًا: ما هي الدّنيا؟ وتعامل معها وانتفع منها لأنّها مزرعة الآخرة.

أن يزيد إيمانك بأنّ الدّنيا رحلة للدّار الآخرة فيتّجه اهتمامك للدّار الآخرة:

إذًا: «لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ» طيّب والدّنيا؟ ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ يعني: مثل المطر ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ نزلت المطر فأصبحت الأرض خضراء جميلة ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ أوّل يوم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٧٧).

جئنا كان كلّ شيء جميلًا، حقائبنا مُرتّبة، وكلّ شيء مرتّب، ثمّ تجري بنا الأيّام وتُبعثر أغراضنا!

فالمقصد: أنّ الدّنيا تكون زاهية ثمّ بعد ذلك تهيج ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ لو كانت المسألة تنتهي على هذا لكان هيّنًا لكن: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1].

والشّيطان هو الّذي يغرّك! هو الّذي يوسوس لك! هو الّذي يكبّر الدّنيا في قلبك! هو الّذي يجعل الصّغير في الدّنيا كبيرًا!

فإذًا أوّل علامة وأهمّ علامة: أن يزيد إيمانك بأنّ الدّنيا رحلة للدّار الآخرة فيتّجه اهتمامك للدّار الآخرة «لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ».

الدّنيا دار اختبار إمّا أن تعيشها على هواك أو أن تُسابق أهلها على الفوز برضا الله:

هل يعني بأن لا أعيش الدّنيا؟ عشها! لكن ماذا تفعل بها؟ ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[2].

إذًا معنى ذلك: أنّك ستعيش الدّنيا وأنت تُسابق، لكن لا تسابق أهلها على الدّنيا وإنّما سابق أهلها على مكان وصفه رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- فقال فيه: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[3].

---

(١) الحديد: ٢٠.

(٢) الحديد: ٢١.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٧٨).

تصوّري هذا السّوط الّذي يستعملونه لتحريك الخيل، طوله نصف متر تقريبا! يعني: نصف متر في الجنّة «خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» فأنت ستعيش في الدّنيا من أجل أن تُسابق لتصل إلى هذا:

- **فتأكل و أنت شاكر لربّ العالمين، ذاكر لربّ العالمين ناسب النّعمة إليه.**
- **وتشرب و أنت حامد ربّ العالمين.**
- **وتتحرّك و أنت تعلم أنّ القوّة من عند ربّ العالمين.**
- **وتفعل، وتفعل، وتفعل و أنت مشغول برضا ربّ العالمين.**

فالدّنيا هنا اختبار: هل تريد هواك أم تريد رضا الله؟

لا تعش الدّنيا على أساس أنّها هي النّهاية و إنّما عشها على أساس أنّها هي البداية:

ولذلك ستعيش في الدّنيا كما وصف النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لأصحابه: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» ستعيش لابدّ أن تعيش! لكن تعيش ليس على أساس أنّ هذه هي النّهاية ولكن على أساس أنّ هذه هي البداية؛ ولذلك ابن عمر حين سمع هذا الكلام من نبيّنا -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ» يعني: إذا جاءك المساء اجعله ذخرًا لك تزداد من الأعمال الصّالحة فلا تقل: (غدًا أفعل! غدًا أفعل!) هي رحلة تقتطعها لا تدري متى تنتهي منها! «وَإِذَا

أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ»[1] ابدأ يومك بأذكار الصّباح وبذكر الله وبحمد الله، وبكلّ فعل يقرّبك لرضا الله وابق مشغولًا برضاه.

معرفة معنى الفوز الحقيقي وأنّ الّذي يُزحزح عن النّار ويدخل الجنّة ذلك هو الفوز:

واعلم أنّ زيادة الإيمان الّتي من المفترض أن تخرج بها من الحجّ ستوصلك لشيء مهم جدّا جدّا، أن تعرف ما هو الفوز الحقيقي؟ فلا بدّ أن نعرف ما هو الفوز الحقيقي؟ لأنّ كلمة الفوز أصبحت مُبتذلة فعلى أتفه الأشياء النّاس يُطلقون كلمة "فوز! والله يقول: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[2].

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ هذا هو الفوز! فالّذي يُزحزح عن النّار ويدخل الجنّة هذا هو الفائز ﴿فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

ولذَا فإنّه يقول في حقّ أهل الدّنيا: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[3] لكن أنت تأكل وتتمتّع في الدّنيا وأنت تعرف بأنّك ستلقى ربّك، وأنّ الله -عزّ وجلّ- يحبّ من العبد إذا أكل الأكلة أن يحمده -سبحان الله- يعني: يحبّ هذا العبد الّذي إذا أكل أكلةً حمد الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٧٩).

(٢) آل عمران: ١٨٥.

(٣) الحجر: ٣.

فالمقصد: أنّ الفوز الحقيقي أن تكون آمالك هناك ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

٣_ تعلّق قلب الحاجّ بلقاء الله وبطلب رضاه:

معرفة أنّ الإنسان لو ما جعل طمعه فيما عند الله فإنّه لن يشبع أبدًا:

وهذه المسألة مسألة الطّمع في الآخرة لا تظنّ بأنّه كلّما كبرت في السّنّ ستتحسّن ويصبح طمعك في الآخرة! وتقول: (أنا مازلت صغيرًا الآن اتركني فمازال لديّ وقت لأطمع في الآخرة ومازالت الدّنيا أمامي)!

لكن نحن نقول لك: للأسف الشّديد أنّ الإنسان يكبر وهذه الأشياء تكبر في نفسه! فإذَا لم تعرف كيف تعالج نفسك فإنّها لا تنتهي وحدها! ولذلك النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: «لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ»[١] وفي الرّواية الأخرى: «يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ المَالِ، وَطُولُ العُمُرِ»[٢].

في الرّواية الأولى: «لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ» يعني: كبيرًا وبتعبيرنا: عجوزًا! لكن «لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ» فلا تَعِد نفسك بأنّك لو كبرت ستصبح أحسن! لا فإنّ حبّ الدّنيا يكبر مع الإنسان! لكن المطلوب منك أن تعيش في الدّنيا وأنت تطمع في الفوز الحقيقي.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٨٤).

واعلم أنّ الإنسان لو ما جعل طمعه فيما عند الله فإنّه لن يشبع أبدًا! وفي الحديث عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»[1].

وفي الرّواية الأخرى: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»[2].

أي أن أطماعنا خطيرة جدًّا لن تنتهي أبدًا، فلابدّ أن تعيد وتعيد على نفسك: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

قطع التّعلّق بالأشياء يجعلك تغتنم صحّتك وفراغك في السّباق لطلب رضا الله:

وسنُعيد: بأنّ الإنسان إذَا زاد إيمانًا بما عند الله كانت الدّنيا هيّنة يعيشها ويتمتّع بما متّعه الله، لكن لا تكون غايته وإنّما يسابق إلى رضا الله خاصّة لو كانت كلّ الأمور حوله مهيّأة! وخاصّة لو كان قد أعطاه الله النّعمتان العظيمة: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ»[3] الصّحّة والفراغ رأس مالك في الحياة! سابق إلى الله بما تملك من صحّة وفراغ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٧٥).

ولا تظنّ أنّ الغنى بأن يكون عندك مال وأن يكون عندك جاه، فقد ورد في الحديث الصّحيح عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[1] لا تصير فقيرًا للدّنيا رهينًا لها إنّما كن مؤمنًا بأنّ استغناء نفسك عن الأشياء سيجعلك أنت سيّدها، أمّا بقاء قلبك معلّقًا بالأشياء فإنّك ستصبح عبدًا لها! لا تكن عبدًا لجسدك وهواك كلّما أمرك نفّذت! وإنّما كن عبدًا لله تطلب رضاه.

فإذًا ماذا يجب علينا أن نكون بعد الحجّ؟ أن نزداد إيمانًا، نعود ونطلب أسباب زيادة الإيمان وهذا معناه أنّك: تغتنم صحّتك وفراغك في **"العلم عن الله"** و **"العلم عن لقاء الله"** و **"تكون في الدّنيا كأنّك غريب أوعابرسبيل"**.

وتُذكّر نفسك دائمًا: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» فسابق بما عندك إلى الله واعلم أنّما الحياة الدّنيا لعب ولهو وزينة وتكاثر وتفاخر.

وأهمّ أسباب زيادة الإيمان هي الشّيء الثّاني الّذي سيكون من علامات الحجّ المبرور، يعني: العلامة الثّانية ستساعدنا على الأولى.

فإذًا الأولى ما هي الآن؟ زيادة الإيمان: أن نعود وقد زدنا إيمانًا، إيمانًا في ماذا؟ إيمانًا بأنّ ما عند الله أهمّ من هذه الدّنيا، يعني: لا نخرج من هنا ملهوفين على الدّنيا وإنّما نخرج وقد انطفأ شيء من وهجها واشتعل

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٨).

وهج آخر! اشتعل وهج الآخرة وأصبحت الآخرة هي الّتي تشغلنا وأنّ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»[1].

ينظر إلى قلوبكم! فماذا حمل قلبك؟ هل ازداد عناية بالآخرة أم ازداد تمسّكًا بالدّنيا؟

العلامة الثّانية لقبول الحجّ المبرور:

التّعلّم والقيام بالأعمال مع الإخلاص والمتابعة والمداومة عليها وفي القلب خوف ورجاء

١_ تعلّم واعمل لأجل لقاء الله:

إنّ حقّ الله عظيم لا يستطيع إنسان أن يكمّله مهما فعل:

الأمر الثّاني: المداومة على العمل وفي القلب خوف ورجاء: وقد ورد في الحديث أنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» ها هو العمل لا ينجّي؟! فإذًا كيف يكون العمل دليلًا على أنّ الحجّ مبرور؟ حسنًا نصبر ونكمل حديث النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- «قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟» يعني: حتّى أنت يا رسول الله لا ينجّيك عملك؟ «قَالَ: وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ» فإذًا هل نعتمد على الرّحمة ولا نفعل شيئًا؟ قال لهم الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ

(١) أخرجه مسلم (٤٧٧٩).

تَبْلُغُوا»[1] يعني: افعل! وافعل! وافعل! من الطّاعات والقُرب، سدّد وقارب فأنت لن تصل إلى الكمال فالكمال غير موجود، فإنّ حقّ الله عظيم لا يستطيع إنسان أن يكمّله مهما فعل!

اعمل و أنت معظّم لشأن ربّ العالمين راجٍ رحمته:

لكن في الغداة في النّهار في أوّل النّهار اعبد الله، وفي آخر النهار اعبد الله، وخذ من اللّيل كذلك شيئًا واعبد الله فيه، «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا» يعني: في الصّباح «وَرُوحُوا» يعني: في آخر النهار و «وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ» يعني: في اللّيل، «وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا» يعني: بمعنى الحديث الثّاني وأنّ: «أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا»[2].

إذًا «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا»[3] كما في الرّواية الثّانية، واعملوا وأنتم معظّمين لشأن ربّ العالمين راجين رحمته.

ولذلك فقد ورد في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»[4] فنحن نسدّد ونقارب بين الرّجاء والخوف.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦١٣١).

تصبّر على الطّاعة فليس هناك عطاء يعطيه الله -عزّ وجلّ- للإنسان أكثر من أن يكون صابرًا:

وفي كلّ هذا فنحن نتصبّر على الطّاعة، وقد ورد في الحديث: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ» والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[1] فليس هناك عطاء يعطيه الله -عزّ وجلّ- للإنسان أكثر من أن يكون صابرًا.

٢_ الأعمال في أصلها أمرين أصلهما العلم لكي تعرف: من ربّك؟ وما دينك؟ من نبيّك؟

العناية "بالعلم عن الله" هي أهمّ الأعمال الّتي يداوم عليها العبد ويبتدئ بها:

فإذًا معنى ذلك أنّه من علامات الحجّ المبرور وما يجب علينا أن نفعله بعد أن نعود:

- **أن يتعلّق قلبنا بشأن الآخرة ورضا الله**، وينطفئ في نفوسنا وهج الدّنيا ولو بنسبة، ويعيننا على ذلك أن تكون قلوبنا متعلّقة بالله، ومتعلّقة بطلب رضاه.

- ويأتي الأمر الثّاني: **أن نداوم على الأعمال ونحن نرجو الله ونخاف منه**، وأهمّ الأعمال الّتي يداوم عليها العبد ويبتدئ بها: العناية **"بالعلم عن الله"**.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٢).

حين تعرف من ربّك؟ ستعظّمه وتأتي بقلبك:

السّؤال الأوّل الّذي ستُسأله في قبرك كان الواجب عليك أن تستعدّ له طول حياتك، فأنت ستسأل في قبرك: (من ربّك؟ من ربّك؟) فهل الأيّام تزيدني معرفة بالله أم أن الأيّام تزيدني معرفة بالدّنيا؟!

فأوّل الأعمال الصّالحة أن يكون كلّ يوم زيادة في حياتي زيادة معرفة بالله، أقرأ في كلام الله، أقرأ في كلام رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، أسمع ما يتيسّر لي من العلم، لأجل هذه الغاية: غاية معرفة الله، وأفكّر، وأفكّر! فالتّفكير الّذي أنت مميّز به لا تهدره في الدّنيا! اجعل قدرتك على التّفكير تجعلك تقول في النّهاية بعد أن تفكّر في الأقدار والأحداث والمخلوقات الّتي خلقها الله تقول في النّهاية: (سبحان الله!) فكّر في حياتك في حلم الله عليك، فكّر في حياتك في ستر الله عليك، فكّر في حياتك فيما وهبك الله من هبات، وميّزك به من ميزات، وما أعطاك فيه من عطايا، فكّر وقل بلسانك بعد أن يمتلئ قلبك بالمعنى: (الحمد لله).

فأوّل الأعمال سيقابل أوّل الأسئلة الّتي سنُسألها: (من ربّك؟) فكلّ يوم أزداد معرفة بالله على قدر المستطاع، والصّادق يرزقه الله فكلّ القضيّة الّتي نحن بصدد عيشها تحتاج أن نكون صادقين من داخل نفوسنا، يعني: حقيقة نريد رضا ربّ العالمين وننجح في صراع التّقوى.

التّقوى هذه ماذا تفعل بنا؟ تجعلنا ننجح في هذا الصّراع: يأتينا الشّيطان يقول لنا كلامًا! والمَلك يقول لنا كلامًا، ونفوسنا تتنازع بين الأمرين فينتصر كلام الرّحمن على كلام الشّيطان، فنكون بذلك أتقياء.

٣_ العناية بتحقيق شرطي قبول العمل وهما الإخلاص والمتابعة:

حين تعرف ما دينك؟ ومن نبيّك؟ ستعرف الأعمال الّتي فيها متابعة للسّنّة ومخالفة للبدعة:

من ربّك؟ ما دينك؟ من نبيّك؟ فنأتي عند ديننا ونتعلّم عنه، ونأتي عند رسولنا ونتعلّم عنه، فنكون بذلك محقّقين لشرطي قبول العمل وهما: الإخلاص والمتابعة.

فكلّما زدت معرفة بالله أخلصت له، وكلّما زدت معرفة بدينك ونبيّك -صلّى الله عليه وسلّم- كنت متابعًا له وزدت ابتعادًا عن البدعة، البدعة الخطيرة الّتي تُفسد على النّاس دينهم، هذا العمل الأوّل المهمّ الّذي هو: العلم.

٤_ هناك أعمال قلبيّة وهناك أعمال جارحيّة:

مشاعرك الّتي في قلبك في الأصل هي حقّ لله تحبّه وتعظّمه وتكبّره:

ثمّ يأتي العمل الثّاني: الطّاعات عمومًا وخصوصًا الصّلاة، وفي الصّلاة نفسها لابدّ من عبادات القلب.

وأنت لن تجد في الصّلاة عبادات القلب تأتيك فجأة، لابدّ أن تكون معتنيًا بها قبل، فلا تصرف خوفك على الدّنيا فلا تلاقِ الله وفي قلبك

شيئًا من الخوف من غير الله، لا تصرف تفكيرك في الدّنيا فلا تجد في قلبك من قوّة تفكير في عظمة الله وآلاء الله.

مشاعرك الّتي في قلبك في الأصل هي حقّ لله تحبّه وتعظّمه وتكبّره، تأتي تصلّي تقول: (الله أكبر) هل هو حقًّا أكبر من كلّ شيء في حياتك؟ هل هو أكبر من همومك؟ هل هو أكبر من آمالك؟ هل هو أكبر من هواك؟ هل هو أكبر من محابّك؟ أم في القلب زحام؟

وحين تصلّي تعال إلى الفاتحة اقرأها بكلّ ما تملك من قوّة قلب وخصوصًا عند طلبك: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1] ولن يخذلك ربّ العالمين، فإذًا نحن لدينا أعمال قلبيّة وأعمال جارحيّة.

ملخّص ما قيل

علامة قبول الحجّ:

١. أن يعود الحاجّ وقد اعتنى بشأن الآخرة:

وقد زاد إيمانًا وعناية واهتمامًا بلقاء الله، وعرف حقيقة الدّنيا ووظيفته فيها والمطلوب منه أن يسابق وأن يسارع إلى رحمة الله وإلى رضا ربّ العالمين.

وهذا سيسبّب أمرًا ثانيًا وهو:

٢. القيام بالأعمال والمداومة عليها:

---

(١) الفاتحة: ٦.

والأعمال في أصلها أمرين أصلهما العلم لكي تعرف: من ربّك؟ وما دينك؟ من نبيّك؟

فحين تعرف من ربّك؟ ستعظّمه وتأتي بقلبك.

وحين تعرف ما دينك؟ ومن نبيّك؟ ستعرف الأعمال الّتي فيها متابعة للسّنّة ومخالفة للبدعة

وتكون بهذا قد تعلّمت وعملت.

فإذًا **"زد إيمانًا واعمل وكلّ هذا لشأن الآخرة"** ولذلك يقول قوم قارون لقارون: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾[1] كلّ ما أعطاك الله إيّاه استفد منه للدّار الآخرة: (بيت، وقت، قوّة، مال، ذكاء، فَهْم...) كلّ شيء ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ طيّب والدّنيا؟ ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ لا تنس ولكن في الأصل فإنّ العمل لأجل لقاء الله.

فنسأل الله -عزّ وجلّ-بمنّه وكرمه وهو الغفور الشّكور أن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يشكر لنا قليل طاعتنا له، وأن يجعلنا من أولئك القوم الّذين يكون حالهم يوم الحشر حال كرامة، ثمّ تكون منازلهم منازل السّعداء، فيدخلون إلى الجنّة وهم في أحسن حال، وتراهم يقولون في ذلك اليوم العظيم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا

(١) القصص: ٧٧.

لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[١].

نحن نطمع في مغفرته لذنوبنا، وفي ستره لعيوبنا، وفي شكره لقليل طاعتنا، اللهمّ تقبّل، اللهمّ تقبّل، اللهمّ تقبّل، اللهمّ آمين.

أستودع حجّاج بيت الله المتعجّلين، أستودعهم وأستودع قلوبهم ربّ العالمين، اللهمّ احفظ المسلمين ويسّر أحوالهم وأوصلهم إلى ديارهم سالمة أبدانهم، سالمة قلوبهم، اللهمّ آمين.

سبحانك اللهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) فاطر: ٣٤-٣٥.